

سورة الكهف (الآيات: 73 - 77)

20

٢٠

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف فعلين آخرين للخضر اعترض موسى عليهما عليه السلام.
- 2- أن أدرك منطلقات موسى -عليه السلام - في إنكاره على الخضر.
- 3- أن أستشعر قيمة حفظ الحياة وإكرام الضيف في الشرائع السماوية.

تمهيد

بعد أن قصت الآيات السابقة ما كان من الخضر حين صاحبه موسى عليه السلام - على شرط التسليم وعدم السؤال - من إنكاره عليه خرقه للسفينة؛ لما يظهر فيه على مقتضى الشريعة من الإفساد، وتذكير الخضر لموسى عليه السلام بشرط الصحبة الذي نسيه موسى فخالفه، جاءت آيات هذا الدرس بذكر فعلين آخرين قام بهما الخضر وكانا مثار إنكار من موسى.

فما الإعلان اللذان فعلهما الخضر؟ ولم اعترض عليه موسى عليه السلام ؟ وما نتيجة تلك المعارضة؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ مِلَّةَ الْعِلْمِ الْيَتِيمِ الْغُلَامِ فَتَلَدُوا، قَالَ أَفَتُلَدُّ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّدُنِّي جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا ۚ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَصْبِرَ ۚ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُمْ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ تُصَبِّحُ بِهِ قَدْ بَلَغْتَ مِنَ اللَّغْوِ عُدْرًا ۚ ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ مِلَّةَ الْعِلْمِ الْيَتِيمِ الْغُلَامِ فَتَلَدُوا، قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُمْ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ تُصَبِّحُ بِهِ قَدْ بَلَغْتَ مِنَ اللَّغْوِ عُدْرًا ۚ ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ مِلَّةَ الْعِلْمِ الْيَتِيمِ الْغُلَامِ فَتَلَدُوا، قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُمْ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ تُصَبِّحُ بِهِ قَدْ بَلَغْتَ مِنَ اللَّغْوِ عُدْرًا ۚ ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ مِلَّةَ الْعِلْمِ الْيَتِيمِ الْغُلَامِ فَتَلَدُوا، قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُمْ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ تُصَبِّحُ بِهِ قَدْ بَلَغْتَ مِنَ اللَّغْوِ عُدْرًا ۚ ﴿٧٥﴾

فَالْأَوْشِيَّتْ لَتَنَحَدَّ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ هَٰذَا إِفْرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ سَأَتَّبِعُكُمْ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَكْشِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ [الكهف: 73 - 77].

الفهم

الشرح:

بَغَيْرِ نَفْسٍ: في غير قصاص.
 مِنَ الدُّنَى: من قبلي وجهتي.
 اسْتَكْشَعَا: طلبا طعام الضيافة.
 يُضَيِّعُونَهُمَا: يقرؤهما ويطعموهما.
 قَامَةً: بناه.
 أَجْرًا: عوضا ومقابلا.
 بِتَأْوِيلٍ: ببيان وتفسير وشرح.

استخلاص مضامين الآيات:

- 1- ما الفعل الثاني الذي اعترض عليه موسى من أفعال الخضر؟
- 2- لم اعترض موسى على الخضر في شأن إقامة الجدار؟
- 3- بم وعد الخضر موسى قبل فراقه؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الاختبار الثاني لصبر موسى والتزامه بالشرط:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ الْفِتْيَانِ غُلَامًا فَقَاتِلْهُمْ فَإِنْ كُنْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا﴾. يعني: سارا من موضع نزولهما من السفينة، فعمد الخضر إلى غلام فقتله.

وقرأ الجمهور: ﴿زَاكِتٌ﴾ بالالف. وقرأ الكوفيون وابن عامر: «زكية» بغير ألف وتشديد الياء، فحذف الألف في ﴿زَاكِتٌ﴾ حذف إشارة.

قيل: معناهما واحد، قاله الكسائي. وقال ثعلب: الزكية أبلغ. وقال أبو عمرو: الزاكية التي لم تذنّب قط، والزكية التي أذنبت ثم تابت. [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 15].

وَوَصَفَهَا بِهَذَا الْوَصْفِ لِأَنَّهُ لَمْ يَرَهَا أَذْنَبَتْ، وَقِيلَ: أَوْ لِأَنَّهَا صَغِيرَةٌ لَمْ تَبْلُغِ الْحِنْثَ. [البحر المحيط: 7 / 208].

وقوله: ﴿بَغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: دون أن يكون قتلك لها قصاصا في مقابل نفس، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا ذُرِّيَّتَهُمْ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: 47].

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا﴾، قرأ الجمهور «نُكْرًا» بِاسْكَانِ الْكَافِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو بَكْرِ وَابْنُ ذَكْوَانَ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَيَعْقُوبُ بِضَمِّ الْكَافِ حَيْثُ كَانَ مَنْصُوبًا. وَالنُّكْرُ، قِيلَ: أَقْلٌ مِنَ «الْإِمْرِ» الذي تقدم وصف خرق السفينة به؛ لِأَنَّ قَتْلَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَهْوَنُ مِنْ إِغْرَاقِ أَهْلِ السَّفِينَةِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: شَيْئًا أَنْكَرَ مِنَ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الْخَرْقَ يُمَكِّنُ سَدُّهُ وَالْقَتْلَ لَا سَبِيلَ إِلَى تَدَارُكِ الْحَيَاةِ مَعَهُ.

وتصرف الخضر في قتل الغلام من أسرار الغيب التي أعلمه الله بها وأطلعها عليها، وليس من مقام التشريع، ولذلك أنكره موسى عليه السلام جريا على مقتضيات التشريع، فالشرائع السماوية مجمعة على حفظ النفس ورعاية حق الحياة.

ثانيا: التذكير بشرط التعليم والصحة:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّأَنْتَ مُشْكِيْعٌ مَّعِي صَبْرًا﴾، جاءت الآية هنا بزيادة ﴿لَمْ﴾ في خطاب الخضر لموسى، بخلاف الأولى فليست فيها، وهو زجر وإغلاظ ليس في قوله أولا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّأَنْتَ﴾.

وقوله: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُمْ عَرِشٌ بَعْدَ مَا قُلْتَ تُصْلِحُنِي فَدَبَّلْتُمْ عَنْ عَرْشِي﴾، قوله: ﴿بَعْدَ مَا﴾ أي: بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَوْ بَعْدَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. وقوله: ﴿فَلَا تُصْلِحُنِي﴾ أي: فَلَا تَجْعَلْنِي صَاحِبَكَ، وَأَوْقِعِ الْفِرَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ.

قال ابن العربي رحمه الله: «فهذا شرط، وهو لازم، والمسلمون عند شروطهم، وأحق الشروط أن يوفى به ما التزمه الأنبياء، أو التزم للأنبياء، فهذا أصل في القول بالشروط وارتباط الأحكام بها، وهو يستدل به في الأيمان وغيرها». [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 17].

وفي قوله: ﴿فَدَبَلَعَتْ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ قال القرطبي رحمه الله: «أي بلغت مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي». ثم نقل عن ابن العربي رحمه الله قوله: «يدل على قيام الاعتذار بالمرّة الواحدة مطلقا، وبقيام الحجة من المرّة الثانية بالقطع». [أحكام القرآن: 3 / 238].

ويشبه أن تكون هذه القصة أيضا أصلا للأجل في الأحكام التي هي ثلاثة، وأيام التلوم ثلاثة، فتأمل». والتلوم أجل يعطيه القاضي لإحضار البينة.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي: «من لَدُنِّي» مثقلا. وقرأ نافع: ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾ بضم الدال مع تخفيف النون. وروى أبو بكر - شعبة - عن عاصم: «من لَدُنِّي» بفتح اللام مع تسكين الدال. وفي رواية أخرى عن عاصم: «لَدُنِّي» بضم اللام وتسكين الدال. قال الزجاج: وأجودها تشديد النون؛ لأن أصل «لَدُن» الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونا، ليسلم سكون النون الأولى، تقول: من لدن زيد، فتسكن النون، ثم تضيف إلى نفسك فتقول: من لدنّي، كما تقول: عن زيد وعني. فأما إسكان دال «لَدُنِّي» فإنهم أسكنوها كما تقول في عضد: عضد، فيحذفون الضم. [إزاد المسير لابن الجوزي: 3 / 100].

ثالثا: الاختبار الثالث، وانتهاء الصحبة:

قال تعالى: ﴿فَانْهَلَفَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ...﴾، في الكلام حذف يقتضيه المقام، تقديره: فانطلق الخضر وموسى يمشيان لارتياح الخضر أمرا ينفذ فيه ما عنده من علم الله، حتى مرا بقريّة فطلبا من أهلها أن يطعموهما فأبوا.

وقوله: ﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ اختلف في تحديد القرية المذكورة، قال ابن عطية بعد أن أورد الأقوال في ذلك: «وهذا كله بحسب الخلاف في أي ناحية من الأرض كانت قصة موسى، والله أعلم بحقيقة ذلك».

﴿أَنْ يَضَيِّفُوهُمَا﴾ أي: أن ينزلوهما أضيافاً ويكرموا وفادتهما. قال القرطبي رحمه الله: «والاستطعام: سؤال الطعام، والمراد به هنا سؤال الضيافة، بدليل قوله: «فأبوا أن يضيفوهما»، فاستحق أهل القرية لذلك أن يذموا وينسبوا إلى اللؤم والبخل، كما وصفهم بذلك نبينا عليه الصلاة والسلام. قال قتادة في هذه الآية: شر القرى التي لا تضيف الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقه. ويظهر من ذلك أن الضيافة كانت عليهم واجبة، وأن الخضر وموسى إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال الأنبياء، ومنصب الفضلاء والأولياء». [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 18].

وقوله: ﴿بَوَجْهٍ إِيهَا جِدَارٍ أَبْرِدُ أَنْ يَنْفَضَّرَ فَأَقَامَهُ﴾. الجدار والجدر بمعنى واحد، والجمع جُدُر، وأصل «الجدر» الرفع، وأجدرت الشجرة طلعت.

ومعنى: ﴿أَبْرِدُ أَنْ يَنْفَضَّرَ﴾ أي: قرب أن يسقط، وقد فسر في حديث الخضر بقوله: «مائل». ونسبة الإرادة إلى الجدار استعارة تصريرية، فيها تشبيه ميل الجدار وكونه يوشك على السقوط بمن عزم على مباشرة الفعل من العقلاء.

ومعنى ﴿فَأَقَامَهُ﴾ قيل: هدمه ثم قعد بينيه. وقال سعيد بن جبیر: مسح بيده وأقامه فقام. [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 19]. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: دَفَعَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ. قال أبو حيان: «وَهَذَا أَلْيَقُ بِحَالِ الْأَنْبِيَاءِ». [البحر المحيط: 7 / 211].

وقوله: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «لتخذت» بكسر الخاء، غير أن أبا عمرو كان يدغم الذال، وابن كثير يظهرها. وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: «لاتخذت». وكلهم أدغموا إلا حفصا عن عاصم، فإنه لم يدغم مثل ابن كثير. قال الزجاج: يقال: تخذ يتخذ في معنى: اتخذ يتخذ. وإنما قال له -يعني موسى - هذا، لأنهم لم يضيفوهما». [إزاد المسير: 3 / 102].

وقال القرطبي رحمه الله: «وهذه صدرت من موسى سؤالا على جهة العرض لا الاعتراض». [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 23]. وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سُؤَالًا، فَفِي ضِمْنِهِ الْإِنْكَارُ لِفَعْلِهِ،

وفي الآية دليل - كما قال القرطبي رحمه الله - «على صحة جواز الإجارة، وهي سنة الأنبياء والأولياء، على ما يأتي بيانه في سورة «القصص»». [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 23].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَلْبًا أَفْرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ﴾، ﴿قَلْبًا﴾ يعني الإنكار علي بحكم ما شرطت على نفسك. وتكريره «بيني» و«بينك» وعدوله عن «بيننا» لمعنى التأكيد. وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله: «وكان قول موسى في السفينة والغلام لله، وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شيء من الدنيا، فكان سبب الفراق». [الجامع لأحكام القرآن: 11 / 33].

وفي ذلك إعلان من الخضر لموسى عليه السلام بانتهاء الصحبة، وبقي عليه فقط الوفاء بوعده له بأن يخبره بتأويل ما اعترض عليه من أفعاله في قوله: ﴿سَأَتِيَّ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَصِغْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾. أي: سأخبرك بحكمة ومآل هذه المسائل الثلاث: خَرَقَ السَّفِينَةَ، وَقَتَلَ الْغُلَامَ، وَإِقَامَةَ الْجِدَارِ. وأصل التأويل راجع إلى قولهم: آل الأمر إلى كذا أي: صار إليه، ومعناه: البيان والتفسير والشرح.

وفي الحديث: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما». [صحيح البخاري

تعليقًا: كتاب تفسير القرآن: باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَاتِهِ...﴾ حديث [4540].

رابعاً: لطائف وفوائد:

- البَيْنُ الصَّلَاحُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْمُصْطَحِبِينَ وَنَحْوِهِمَا، وَذَلِكَ مُسْتَعَارٌ فِيهِ مِنَ الظَّرْفِيَّةِ وَمُسْتَعْمَلٌ اسْتِعْمَالُ الْأَسْمَاءِ. وهو من الأضداد، يطلق على الافتراق والاجتماع.

- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فَإِنْ قِيلَ: فَالْقِصَّةُ الثَّانِيَةُ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَمْدًا، فَمَا الْحَامِلُ لَهُ عَلَى خُلْفِ الشَّرْطِ؟ قُلْنَا: لِأَنَّهُ فِي الْأُولَى كَانَ يَتَوَقَّعُ هَلَاكَ أَهْلِ السَّفِينَةِ، فَبَادَرَ لِلْإِنْكَارِ، فَكَانَ مَا كَانَ، وَاعْتَذَرَ بِالنِّسْيَانِ، وَقَدَّرَ اللَّهُ سَلَامَتَهُمْ. وَفِي الثَّانِيَةِ كَانَ قَتْلُ الْغُلَامِ فِيهَا مُحَقَّقًا، فَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْإِنْكَارِ، فَانْكَرَ ذَاكِرًا لِلشَّرْطِ عَامِدًا لِإِخْلَافِهِ، تَقْدِيمًا لِحُكْمِ الشَّرْعِ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يَعْتَذِرْ بِالنِّسْيَانِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُجَرِّبَ نَفْسَهُ فِي الثَّالِثَةِ؛ لِأَنَّهَا الْحَدُّ الْمُبِينُ غَالِبًا لِمَا يَخْفَى مِنَ الْأُمُورِ». [فتح الباري: 11 / 554].

التقويم

- 1- ما الأقوال الواردة في الفرق بين قراءة «زَكِيَّةً» بالألف و«زكية» بدونه؟
- 2- ماذا يجب على الإنسان نحو شروطه؟ ومن أين يستفاد ذلك من الآيات؟
- 3- ما سرُّ ذكر ﴿لَا﴾ في الآية الثانية دون الأولى؟
- 4- أذكر أهم الأحكام والقيم المستخلصة من آيات الدرس.

الاستثمار

قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - «وَقَوْلُ مُوسَى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لَوْ، أَيْ كَانَ فِي مُكْنَتِكَ أَنْ تَجْعَلَ لِنَفْسِكَ أَجْرًا عَلَى إِقَامَةِ الْجِدَارِ تَأْخُذُهُ مِمَّنْ يَمْلِكُهُ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ وَلَا تُقِيمُهُ مَجَانًا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقُومُوا بِحَقِّ الضِّيَافَةِ، وَنَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَا نُنْفِقُهُ عَلَى أَنْفُسِنَا ... وَهَذَا اللَّوْمُ يَتَضَمَّنُ سُؤَالَ عَنِ سَبَبِ تَرْكِ الْمُشَارَطَةِ عَلَى إِقَامَةِ الْجِدَارِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الْأَجْرِ، وَلَيْسَ هُوَ لَوْمًا عَلَى مُجَرَّدِ إِقَامَتِهِ مَجَانًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَهُوَ غَيْرُ مَلُومٍ».

[التحرير والتطوير 9 - 16].

أقرأ النص أعلاه ثم أجيب عن الآتي:

- 1- أبين المراد بما تحته خط في النص.
- 2- ما الذي أنكره موسى عليه السلام على الخضر؟
- 3- أستدل بحديث نبوي على أن إكرام الضيف من الإيمان، ومن مكارم الأخلاق.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 78 - 81 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

- 1- ما القراءات الواردة في كلمة ﴿يَبْدَلُهَا﴾؟
- 2- أعرب قوله تعالى: ﴿يَا خُذْ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.
- 3- أبحث عن مدلولات الكلمات الآتية: آعِبَبَلَا - وَرَاءَهُمْ - غَصْبًا - رُحْمًا.